كلية دار العلوم
قسم الشريعة الإسلامية

أبو الحسين ابن قانع

(٢٦٥ – ٣٥١هـ)

وجهوده في علم الرجال

«أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه»

إعداد الطالب

فهد بن محمد بن عبد العزيز المشرَّف

المشرف

أ. عبد المجيد محمود عبد المجيد

العام الجامعي

٢٠١٦ – ٢٠١٧

المقدمة

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد ﷺ الذي أرسله الله إلىٰ الناس هدىٰ ورحمة وعلىٰ آله وصحبه الأبرار هداة هذه الأمة ورحم الله سلفنا الصالح حملة الشريعة من العلماء والأمة.

وبعد...

فإن الله تعالىٰ جعل شريعة الإسلام هي الشريعة الباقية التي ختم الله بها الشرائع السماوية، وقد استمدت صلاحيتها من بقاء مصادرها الأصيلة وحفظها طرية علىٰ كرِّ الدهور وتعاقب السنين والشهور، أما المصدر الأول: فهو القرآن الكريم المنقول بالتواتر في كل العصور المحفوظ في المصاحف والصدور والذي قال عنه الحق تبارك وتعالىٰ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر آية: ٩]. والمصدر الثاني: هو السنة المطهرة المبيِّنة للقرآن، الموضِّحة لأحكامه، المفصلة لمجمله، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النحل آية: ٤٤].

ولم يترك النبي ﷺ أمرا من أمور معاش العباد ومعادهم إلا وبينه غاية البيان، فكانت طاعته واتباع سنته طاعة لله، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾ [النساء آية: ٨٠].

لما كانت السنة النبوية بهذه المكانة من توضيح الأحكام وتبيين الحلال والحرام قيض الله لها أولئك العلماء الأفاضل الثقات الأعلام المشاهير الذين بذلوا جهدهم واستنفذوا طاقتهم في حفظ السنة والمحافظة عليها ووضعوا من القواعد والضوابط الدقيقة ما يكفل لها السلامة حتىٰ وصلت إلينا بحمد الله كابرا عن كابر وأوصلها كما سمعها أول لآخر طاعة للأمر وطلبا للثواب وهكذا قام سلفنا الصالح من العلماء برعاية أمانة العلم والحفاظ علىٰ السنة منذ أن كانت الرواية شفهية وحتىٰ عصر التدوين، ثم تتابعت جهود العلماء في خدمة السنة مكملين ما بدأه أسلافهم.

ومن المعلوم أن جميع العلوم تمر بمراحل متعددة تتدرج فيها من مرحلة البدء حتىٰ يتكامل نموها ويشتد عودها وتبلغ مرحلة النضج وكان علم الحديث شأنه شأن غيره من

العلوم قد مر بتلك المراحل حيث ظهر أول مصنف حاول مؤلفه جمع شتات علوم الحديث ومباحثه في مصنف واحد في منتصف القرن الرابع الهجري ثم توالت المصنفات حتىٰ القرن الرابع الهجري عصر الإمام ابن قانع رحمه الله -محل الدراسة- ولم يبق الأول للآخر إلا أشياء يفك غريبها أو يحسن أبو ابها أو يحشي عليها.

ولما رأيت بعض من تكلم في ابن قانع بجرح كابن حزم وغيره خلافا لجمهور أهل العلم كالخطيب والدار قطني وغيرهما أردت أن أجمع ما تيسر من أقواله في الجرح والتعديل، وأقارنها بأقوال أهل الشأن في هذا الأمر وأخرج بنتيجة تبين مكانة ابن قانع الحقيقية بالأدلة والبراهين.

أسباب اختيار البحث:

من الدوافع والأسباب التي بعثت في نفسي اختيار هذا الموضوع ما يلي:

١- إحجام كثير من الباحثين عن تناول علم الرجال باعتبار أنها أمور جامدة لا مجال فيها للإبداع ولا للإجادة وقد غاب عن أولئك الفائدة العلمية التي يظفر بها الباحث لآثار صاحب هذا البحث المتناول وآرائه مما يصقل الملكة العلمية عند الباحث ويحفزه لمزيد من البحث.

٢- أن الأمم قد درجت علىٰ تمجيد عظمائها ومفكريها الذين أسهموا في بناء حضارتها وتليد مجدها وذلك بالتعريف بهم ونشر مآثرهم وآثارهم وإن أولىٰ ما للعلماء والمفكرين بالكتابة عنهم والتعريف بحياتهم وآثارهم العلمية هم حملة الشريعة الذين أسهموا في بناء التراث الإسلامي فأبرزوا معالمه وأثروا مادته ومن أولئك الأفذاذ الإمام ابن قانع الذي كان علما بارزا من أئمة الجرح والتعديل.

٣- ارتباط شخصية ابن قانع بمرحلة هامة وحاسمة بالنسبة للتطور في علم الجرح والتعديل بماله من يد طولىٰ في إرساء قواعده ووضوح معالمه.

٤- مكانة ابن قانع العلمية وكثرة آرائه المبثوثة في ثنايا كتب علوم الحديث والتي تحفز طالب العلم للوقوف علىٰ تلك الآراء العلمية في مصادرها الأصيلة لتمام الفائدة وحتىٰ تتسع مدارك الباحث لمعرفة اصطلاحات علم الرجال.

٥- أن الإمام ابن قانع من الأئمة المشهورين في هذا الفن فهو كما قال الخطيب البغدادي: كان من

أهل العلم والدراية. وقال الذهبي: كان كثير الحديث بصيرًا به.

٦- عدم وجود دراسة علمية تدرس جهود ابن قانع في علم الرجال وتجمع أقوال هذا الإمام في الرجال وتدرسها وتبين منزلته في هذا الفن.

٧- تردد بعض العلماء في قبول أقوال ابن قانع في الرواة.

٨- الإسهام في بيان منزلة هذا الإمام من حيث التشدد والتساهل والخروج بنتيجة في الحكم عليه.

لهذه الأسباب وغيرها أحببت أن أدرس هذا الموضوع وأفيد وأستفيد من كلام هذا الإمام في الرجال.

- **أهداف البحث:**

١- التعريف بشخصية ابن قانع العلمية وإبراز ما حفلت به حياته من عطاء متصل وتفان في سبيل خدمة العلم أخذا وعطاء.

٢- التعرف علىٰ مصنفات ابن قانع العديدة والمتنوعة وتوثيق نسبتها إليه وتحقيق القول في أسمائها وموضوع كل واحد منها والكشف عن المغمور منها بالإضافة إلىٰ معرفة مروياته التي تحملها عن شيوخه ورواها عنهم.

٣- إبراز دور ابن قانع في إثراء علم الحديث والتدليل علىٰ ذلك بالأمثلة والشواهد من كلام ابن قانع نفسه حتىٰ يتبين بذلك منهجه في علم الرجال.

٤-إنصاف ابن قانع ومناقشة ما وجه إليه من نقد بعيدا عن التعصب والجحود.

٥- دراسة جهود ابن قانع في علم الرجال وجمع أقواله في الرجال ودراستها وإبراز مكانة الإمام ابن قانع في هذا الفن.

- **أهمية البحث:**

١- بيان أن الإسناد من خصائص الأمة المحمدية التي اختصت بها دون غيرها.

٢- بيان معرفة أحوال الرواة والتي هي من أوجب الواجبات لحفظ سنة النبي ﷺ.

٣- بيان مكانة ابن قانع العلمية وآرائه المبثوثة في ثنايا كتب الرجال.

٤- بيان دور ابن قانع في إثراء علم الحديث والتدليل علىٰ ذلك.

٥-حاجة البحث العلمي لمثل هذه الدراسات العلمية.

- **الدراسات السابقة:**

لم أقف علىٰ دراسة تبحث في جهود ابن قانع في علم الرجال وتجمع أقواله في ذلك وتدرسها، وقد سألت جمعًا من أهل العلم المختصين بالحديث وكلهم أفاد أن هذا الموضوع لم يبحث من قبل، ولم أجد إلا دراستين تناولتا دون تفصيل جوانب من بعض المباحث التي تناولتها في دراستي:

الدراسة الأولىٰ: مقدمة تحقيق معجم الصحابة، لابن قانع، لأبي عبد الرحمن صلاح بن سالم المصراتي[1].

فقد تناول المحقق في مقدمة تحقيقه تقييم معجم الصحابة، لابن قانع، وذكر في هذا التقييم:

١- أن ابن قانع لم يستوعب كل الصحابة.

٢- أن ابن قانع يستدل علىٰ الصحبة علىٰ ذكر حديث يدل علىٰ هذه الصحبة، ولم يكتف بنقل الأقوال في إثبات الصحبة أو نفيها كالكتب الأخرىٰ، وهذه من ميزات كتاب ابن قانع.

٣- وكذلك نبه المحقق علىٰ أن ابن قانع قد وقعت له أوهام كثيرة، ودلل علىٰ ذلك بكلام لبعض علماء علم الرجال.

ولم يتعد كلام المحقق الصفحتين.

وهذا الذي تناوله الباحث قد تناولته في دراستي بشكل أكثر استيعابا؛ فجعلت لها مبحثا مستقلا، ولم اكتف بسرد الأخطاء والأوهام، بل ناقشتها داعما ما ذهبت إليه بالدليل.

وكذلك أَفَضْتُ في ذكر ميزات كتاب ابن قانع بالأمثلة التطبيقية من الكتاب.

الدراسة الثانية: تحقيق ودراسة وتخريج كتاب معجم الصحابة للإمام الحافظ أبي الحسين عبد الباقي بن قانع البغدادي، لخليل إبراهيم قتلاي[2].

وقد تناول الباحث في قسم الدراسة مبحثا عرض فيه منهج ابن قانع في كتابه معجم الصحابة، ثم ما قيل عن الكتاب من جهة الأخطاء والأوهام، وبيان أثر ابن قانع في مَن جاء بعده، وذلك في المبحث الثاني والثالث والرابع والخامس من الفصل الرابع.

(١) طُبع الكتاب بتحقيقه في مكتبة الغُرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، ط١، ١٤١٨هـ.

(٢) رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة ، جامعة أم القرىٰ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

هذا هو القدر المشترك بين دراستي وما قام به الباحث في دراسته.

إلا أن هناك مبحثا هو وثيق الصلة ببحثي قد تناوله الباحث، وهو أثر ابن قانع في نقد الرجال ومرتبته بين النقاد. إلا أنه تكلم في نصف صفحة عن ذلك واقتصر علىٰ القول بأن علماء الرجال نقلوا له أحكاما، ومثل لذلك بالذهبي وابن حجر.

فيظهر من ذلك أن دراستي تبقىٰ منفردة بالموضوع، وما كان مشتركا إنما هي أمور لا تمس صلب البحث.

عدد الرواة:

بلغ عدد الرواة الذين جمعتهم من تكلم فيهم ابن قانع بجرح أو تعديل مائتي راوٍ وثمانية رواة، وهذا ما تيسر لي جمعه من كتب الجرح والتعديل التي سأذكرها آنفًا.

خطة البحث:

تتكون الخطة من مقدمة، وبابين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة:

فيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره وهدفه والدراسات السابقة وخطة البحث.

الباب الأول: عصر ابن قانع وترجمته.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: عصر ابن قانع.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: عصره من الناحية السياسية.

المبحث الثاني: عصره من الناحية الاجتماعية.

المبحث الثالث: عصره من الناحية الاقتصادية.

المبحث الرابع: عصره من الناحية العلمية.

الفصل الثاني: ترجمة ابن قانع.

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه ومولده.

المبحث الثاني: نشأته وصفاته.

المبحث الثالث: شيوخه.

المبحث الرابع: تلاميذه.
المبحث الخامس: العلماء الذين عاصروه.
المبحث السادس: عقيدته ومذهبه.
المبحث السابع: مكانته العلمية.
المبحث الثامن: وفاته.
الباب الثاني: جهود ابن قانع في علم الرجال.
وفيه تمهيد وفصلان:
تمهيد: وفيه أعرف بعلم الرجال وأبين علاقته بعلم الجرح والتعديل وكونه أعم من علم الجرح والتعديل.
الفصل الأول: دراسة كتابه (معجم الصحابة).
وفيه خمسة مباحث:
المبحث الأول: أهمية كتاب ابن قانع (معجم الصحابة) ومكانته بين كتب الصحابة.
المبحث الثاني: منهج ابن قانع في كتاب (معجم الصحابة).
المبحث الثالث: موارده في كتاب (معجم الصحابة).
المبحث الرابع: تأثيره فيمن كتب بعده في هذا العلم.
المبحث الخامس: المؤاخذات علىٰ ابن قانع في كتابه (معجم الصحابة).
الفصل الثاني: أقوال ابن قانع في الجرح والتعديل وموازنتها بأقوال غيره من النقاد.
وفيه مبحثان:
المبحث الأول: الرواة المعدلون عند ابن قانع، ومنهجه في التعديل.
وفيه مطلبان:
المطلب الأول: أقوال ابن قانع في تعديل الرواة مرتبة حسب مراتب التعديل عند العلماء، ومقارنة حكمه فيهم بأحكام أئمة النقد وبيان الراجح من أقوالهم مع التعليل.
المطلب الثاني: منهج ابن قانع في التعديل.
المبحث الثاني:الرواة المجرحون عند ابن قانع، ومنهجه في الجرح.
وفيه مطلبان:
المطلب الأول: أقوال ابن قانع في جرح الرواة مرتبة حسب مراتب الجرح عند العلماء، ومقارنة حكمه فيهم بأحكام أئمة النقد وبيان الراجح من أقوالهم مع التعليل.

المطلب الثاني: منهج ابن قانع في الجرح.

الخاتمة:وفيها أبين أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي.

الفهارس:

وتشتمل علىٰ الفهارس التالية:

١- فهرس الآيات الكريمة. ٢- فهرس الأحاديث الشريفة.

٣- فهرس الأعلام المترجمين. ٤- فهرس المصادر والمراجع.

٥- فهرس الموضوعات.

منهج الدراسة :

يعتمد البحث علىٰ المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي؛ لتوضيح وتحليل آراء وأقوال ابن قانع في علم الرجال من خلال كتابه معجم الصحابة وغيره من كتب الجرح والتعديل، وموازنتها بأقوال غيره من النقاد؛ إذ إن المنهج الوصفي يقوم علىٰ أساس تحديد خصائص الموضوع، ووصف طبيعته، ونوعية العلاقة بين متغيراته وأسبابه واتجاهاته، ويعتبر بعض الباحثين أن المنهج الوصفي يشمل كافة المناهج الأخرىٰ، باستثناء المنهجين التاريخي والتجريبي؛ حيث إن عملية الوصف والتحليل للظواهر تكاد تكون مسألة مشتركة وموجودة في كافة أنواع البحوث العلمية، كما يتعدىٰ المنهج الوصفي مجرد جمع بيانات وصفية حول الظاهرة، إلىٰ التحليل والربط والتفسير لهذه البيانات وتصنيفها وقياسها واستخلاص النتائج منها[1].

المنهج الإجرائي:

١- إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فأكتفي بالعزو إليه.

٢- إذا كان الحديث المذكور قد رواه أصحاب السنن الأربعة أو أحدهم، فأكتفي بالعزو إليه أيضًا دون التطرق إلىٰ سائر المصادر الحديثية، ثم أعقب بذكر كلام أهل العلم علىٰ درجة هذا الحديث من حيث الصحة والضعف.

٣- أما إذا كان الحديث المذكور لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة فأذكر مصادر تخريجه مرتبًا هذه المصادر علىٰ حسب ترتيب وفيات أصحابها، ثم أعقب بكلام أهل العلم علىٰ درجة الحديث من حيث الصحة والضعف كذلك.

---

(١) ينظر: تطور الفكر التربوي، لأحمد وسعد مرسي، عالم الكتب –القاهرة، ١٩٨٦م، ط١٠، (ص٩٦).

٤- أترجم للأعلام الواردة في هذا البحث ترجمة موجزة، أذكر فيها اسم الراوي، وكنيته، ونسبته، وبعض شيوخه، وتلامذته، ومنزلته عند أهل العلم من حيث التوثيق والضعف، وسنة وفاته.

٥- أذكر بيانات المصدر لأول مرة كاملة، ثم لا أعيد ذكرها مع تكرار ذكره.

٦- شرح الغريب، والاصطلاحات العلمية الواردة في هذا البحث.

٧- العزو إلىٰ المصادر العلمية المعتمدة في كل فن من فنون هذا العلم.

٨- نظرًا لأن كتاب التاريخ أو الوفيات لابن قانع العمدة في ذكر أقواله في الرجال –جرحًا وتعديلًا- مفقود، و أيضًا كلامه في الرجال جرحًا وتعديلا في كتابه معجم الصحابة قليل، فلذا قد اضطررت إلىٰ تتبع أقواله التي نقلها إلينا الأئمة الجهابذة الأمناء كأمثال: الحافظ المزي، ومغلطاي، والإمام الذهبي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وغيرهم–رحمهم الله تعالىٰ – جميعًا، ودونك هذه المصادر التي تتبعت فيها أقوال الإمام أبي الحسين ابن قانع، مرتبة علىٰ حسب ترتيب وفيات أصحابها:

- معجم الصحابة، للإمام أبي الحسين ابن قانع نفسه.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي.
- المغني في الضعفاء، للذهبي.
- ميزان الاعتدال، للذهبي.
- تاريخ الإسلام، للذهبي.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي.
- الإكمال في تهذيب الكمال، لمغلطاي.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني.
- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني.
- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني.

٩- سيكون منهجي في ذكر أقواله –رحمه الله تعالىٰ –، في الرواة الذين تكلم فيهم –كما يلي:

أ- أجعل ترتيب الرواة الذين تكلم فيهم ابن قانع علىٰ وفق مراتب الجرح والتعديل المعروفة

عند أهل العلم؛ فأبدأ بالأوثق ثم الذي يليه وهكذا، إلىٰ أن أنتهي إلىٰ أدنىٰ مراتب التجريح، وأجعل ترتيب أسماء الرواة داخل كل تصنيف علىٰ وفق ترتيب المعجم.

ب- أذكر اسم الراوي أولًا باختصار فأذكر اسمه، واسم أبيه، وجده، وقد أتطرق إلىٰ ذكر كنيته، ونسبته.

ت- أذكر قول الإمام ابن قانع في الرواة الذين تكلم فيهم من حيث التعديل أو التجريح.

ث- أتبع قول ابن قانع بذكر أقوال أئمة النقد الآخرين في هذا الراوي أيضًا مبتدأ بذكر أقوال المعدلين، ثم أذكر أقوال الأئمة المجرحين.

ج- أذكر الترجيح بين أقوال أئمة النقد في هذا الراوي -علىٰ وفق قواعد الجرح والتعديل المعروفة، بعد مناقشة أقوالهم واستخلاص الحكم علىٰ الراوي، مشيرًا إلىٰ موافقتي لنقد ابن قانع فيما توصلت إليه من حال الرواي، أو مخالفتي إياه، ولا أذكر هذه المخالفة تصريحًا من باب الاستغناء عن ذكرها بذكر نقده في بداية الترجمة وحتىٰ لا يؤدي هذا إلىٰ الحشو والتكرار غير المفيد.

د- أترجم للراوي المذكور ترجمة موجزة في الحاشية، أذكر فيها: اسمه كاملًا، وكنيته، ونسبته، وبعض شيوخه، وتلامذته، وسنة وفاته.

هـ- أعزو قول ابن قانع المذكور في بداية كل ترجمة إلىٰ مصادره التي نقلت عنه قوله، مرتبًا هذه المصادر علىٰ اعتبار ترتيب وفيات أصحابها.

و- أعزو أقوال أئمة النقد الذين تكلموا في الراوي جرحًا وتعديلًا إلىٰ كتبهم التي ذكروا فيها نقدهم هذا، أو إلىٰ المصادر التي نقلت إلينا أقوالهم مرتبة علىٰ اعتبار وفيات مصنفيها.

ز- أشرح بعض الألفاظ الغريبة الواردة في النقد الذي ذكر في الراوي؛ كما في قولهم: "جمازات المحامل" وما شابه ذلك.

هذا؛ وقد استفرغت الوسع في أداء هذا البحث جامعًا، ومحررًا، ومنقحًا، وناقدًا؛ أقتنص الشوارد، وأصبو إلىٰ الفوائد، وهو جهد المقل، فإن وفقت فيه فذلك فضل الله -تعالىٰ- وحده، وإن كانت الأخرىٰ فأستغفره -سبحانه- من كل ما زلت به القدم، وأسأله تعالىٰ أن يكلل هذا العمل بالتوفيق والسداد، ويحقق به الفائدة، وينفعني به في الأولىٰ والآخرة، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الباب الأول
عصر ابن قانع وترجمته

وفيه فصلان:

الفصل الأول: **عصر ابن قانع**

الفصل الثاني: **ترجمة ابن قانع**

الفصل الأول: عصر ابن قانع

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: عصره من الناحية السياسية.

المبحث الثاني: عصره من الناحية الاجتماعية.

المبحث الثالث: عصره من الناحية الاقتصادية.

المبحث الرابع: عصره من الناحية العلمية.

المبحث الأول: عصره من الناحية السياسية[1]

إن لدراسة عصر ابن قانع من النواحي التي سأتطرق لها في هذا الفصل أهمية بالغة؛ إذِ الإنسان بطبعه في الغالب يتأثر ويؤثر في المحيط الذي يعيش فيه، والبيئة التي يسكنها، لذا كان لابد من دراسة العصر الذي عاش فيه الإمام ابن قانع لمعرفة العوامل والمؤثرات في شخصيته وحياته.

ولقد كانت حياة ابن قانع في زمن الدولة العباسية، وتحديدا في العصر الثاني منه، حيث اعتاد أغلب المؤرخين علىٰ تقسيم عصر الدولة العباسية إلىٰ عصرين متميزين[2]:

استمر الأول قرنًا كاملًا منذ بداية دولتهم (١٣٢هـ -٢٣٢هـ).

والثاني استمر أربعة قرون من (٢٣٢هـ) إلىٰ أن انتهىٰ بغزو المغول سنة (٦٥٦هـ).

والعصر الثاني كذلك يقسمه المؤرخون إلىٰ عدة مراحل، لكل منها خصائص تتميز بها عن غيرها[3].

أولىٰ هذه المراحل: عصر **نفوذ الأتراك**، وقد استمر اثنتين وتسعين سنة (٢٣٢هـ-٣٣٤هـ)، وهو العصر الذي كانت فيه ولادة الإمام ابن قانع واستمر فيه قرابة سبعين سنة.

---

(١) مراجع هذا المبحث: «الكامل» لابن الأثير، و«الاكتفاء في أخبار الخلفاء» للكردبوس التوزري، و«الفخري» لابن طباطا و«البداية والنهاية» لابن كثير، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي، و«الخلافة العباسية في عصر الفوضىٰ العسكرية» للدكتور فاروق عمر، و«تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي» للدكتور حسن إبراهيم، و«موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية» للدكتور أحمد شلبي.

(٢) وبعض المؤرخين يجعلون تقسم عصر الدولة العباسية إلىٰ ثلاثة أقسام، انظر «موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية» للدكتور أحمد شلبي (٣/ ٢٠-٢٢).

(٣) ينظر للتفصيل: «الخلافة العباسية في عصر الفوضىٰ العسكرية» للدكتور فاروق عمر (٣٩-٤٧)، و«تاريخ الإسلام السياسي» للدكتور حسن إبراهيم (٢/ ١٢٥)، و«موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية» للدكتور أحمد شلبي (٣/ ٧٢).

والمرحلة الثانية: عصر البويهيين (٣٣٤هـ-٤٤٧هـ)، وقد عاش من بداية نفوذهم سبع عشرة سنة تقريبًا.

ولد الحافظ القاضي أبو الحسين عبد الباقي بن قانع سنة ٢٦٥هـ، وامتدت حياته إلىٰ سنة ٣٥١هـ، فعاش قرابة ٨٦ عامًا[١]، كانت مليئة بالأحداث والوقائع، وقد عاصر في هذه المدة تسعة من خلفاء الدولة العباسية، إبتداءًا من المعتمد علىٰ الله[٢] (٢٥٦هـ-٢٧٩هـ) إلىٰ أثناء خلافة المطيع لله[٣] (٣٣٤هـ-٣٦٣هـ)، وفي هذا المبحث سأعرضُ بإيجازٍ أهم أحداث هذه المدة.

تميز العصر الذي عاش فيه الحافظ ابن قانع وهو العصر العباسي الثاني بظهور الأتراك وتعاظم نفوذهم واستبدادهم بالسُلطة دون الخلفاء العباسيين، وكان الخليفة المأمون[٤] (١٩٨هـ-٢١٨هـ) هو أولُ خليفةٍ عباسي استخدمهم[٥]، ثم استكثر منهم الخليفة المعتصم بالله[٦] (٢١٨هـ-٢٢٧هـ)، واستعان بهم في الشؤون السياسية والحربية، وأغدق عليهم الأموال وألبسهم الملابس الفاخرة من الديباج وميزهم عن سائر جنوده، حتىٰ إنهم بلغوا في عهده بضعة عشر ألفًا، واضطر بسبب كثرتهم وإيذائهم لعامة الناس ببغداد، أن يتركها ويبني مدينة

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثاني (ص ٣٥ وما بعدها) بإذن الله.

(٢) ستأتي ترجمته (ص١٦).

(٣) ستأتي ترجمته (ص ٢١) قريبًا.

(٤) أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٠هـ، وتولىٰ الخلافة بعد أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ، وهو سابع الخلفاء العباسيين توفي سنة ٢١٨هـ، ترجمته في: تاريخ الطبري (٨/ ٦٤٦)، ومروج الذهب للمسعودي (٤/ ٢٩٩)، والمنتظم لابن الجوزي (١٠/ ٤٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١٥/ ٢٢٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٢٧٤).

(٥) من أفضل المراجع التي تكلمت عن حقبة الأتراك في عصر الدولة العباسية: «الخلافة العباسية في عصر الفوضىٰ العسكرية» للدكتور فاروق عمر.

(٦) أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٨٠هـ، وتولىٰ الخلافة بعد أخيه المأمون سنة ٢١٨هـ، وهو ثامن الخلفاء العباسيين، توفي سنة ٢٢٧هـ، ترجمته في: تاريخ الطبري (٩/ ١١٨)، ومروج الذهب للمسعودي (٤/ ٣٤٤)، والمنتظم لابن الجوزي (١١/ ٢٥)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١٦/ ٣٩٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٢٩٥).

جديدة، ليتخذها سكنًا له مع هؤلاء الجنود وهي مدينة «سُرّ من رأىٰ»[١].

واستمر نفوذ الأتراك في ازدياد وقوة، حتىٰ هيمنوا علىٰ الخلفاء العباسيين آخر الأمر، وصارت السُلطة الحقيقية في أيديهم، لاسيما بعد قتلهم للخليفة المُتوكل[٢] (٢٣٢هـ-٢٤٧هـ) ولم يصبح للخلفاء العباسيين بعد هذا سوىٰ سلطة اسمية ضعيفة، تتمثل في ضرب السكة بأسمائهم، والدعاء لهم في الخُطب، ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ؛ فصاروا مصدر قلقٍ واضطرابٍ في الدولة الإسلامية، وقد كان هؤلاء الأتراك يكرهون الفرس والعرب، وهم أنفسهم ليسوا في وفاق مع بعضهم البعض، وهم لا ينقطعون عن المؤامرات والدسائس، وتعصّب كُلُ فريق منهم لقائدٍ مُعيّن، وهم كثيرو الطمع في الأموال، فلا يشبعون[٣].

وامتد شرهم إلىٰ الخلفاء، فصاروا يولون من يأنسون فيه الضعف والانصياع لمشيئتهم، ويعزلون من يلمسون منه القُدرة علىٰ مباشرة الأمر بنفسه، أو يُدبرون مؤامرةً لاغتياله، فأصاب الخلافة والناس منهم شَرٌّ كثير.

وهكذا استمر نفوذ الأتراك وتحكمهم بأزمة الأمور، وتلاه فترة إمرة الأمراء، ثم أصبح النفوذ لبني بويه، ولم يكن قدوم بني بويه إلىٰ بغداد في سنة ٣٣٤هـ واستيلائهم علىٰ زمام السلطة فيها بدلًا من الأتراك ليغيّر من ذلك الواقع المؤلم شيئًا[٤]، بل إن الأمر ازداد سوء بسبب تشيّع هؤلاء القوم وحقدهم علىٰ الخلفاء العباسيين السُنيين، وقد وصفت حال

---

(١) مدينة سُرّ من رأىٰ: بناها المعتصم سنة ٢٢١هـ بين بغداد وتكريت علىٰ الجانب الشرقي لنهر دجلة، وقد خربت فيما بعد فقيل: ساء من رأىٰ، وهي المعروفة اليوم بمدينة سامراء في العراق تبعد عن بغداد ١٣٠ كلم شمال غرب، انظر: معجم البلدان للحموي (٣/ ١٧٣)، وكتاب الجغرافيا والخريطة الاستثمارية للعراق إعداد الهيئة الوطنية العراقية (ص: ٣٧).

(٢) أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد ولد سنة ٢٠٥هـ، وتولىٰ الخلافة بعد أخيه الواثق سنة ٢٣٢هـ، قُتل سنة ٢٤٧هـ ترجمته في: تاريخ الطبري (٩/ ٢٢٢)، ومروج الذهب للمسعودي (٥/ ٥)، والمنتظم لابن الجوزي (١١/ ١٧٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١٨/ ١٩٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٣٩٤).

(٣) ينظر: «الخلافة العباسية في عصر الفوضىٰ العسكرية» للدكتور فاروق عمر (٣٩-٤٧).

(٤) ينظر: «الخلافة العباسية في عصر الفوضىٰ العسكرية» للدكتور فاروق عمر (٤٤).